

الفصل الأول

حياة سان سيمون وبيئته العقلية

obeikandi.com

سان سيمون

نشأته ، بيئته العقلية ونشاطه الفكرى

فى مدينة باريس ، وفى السابع عشر من أكتوبر عام ١٧٦٠ رزق « الكونت بالتازار هنرى دى سان سيمون » طفلا جديدا أسماه كلود . وكان على الصغير كلود أن يحمل الدم الأزرق فى عروقه ، دم أجداده من النبلاء الذين يقال إنهم من سلالة شارلمان . كما كان عليه أن يقضى أيام طفولته وشبابه بين حقول القمح فى مقاطعة بيكاردى بفرنسا - حيث كان ينتقل والده بين مزارعه فى بيرون وفلاشى وقلعة برنى - وكان عليه فى الوقت نفسه أن يرى أعضاء باريس ويتذوق ألوان الحياة الصاخبة فيها وهو فى صحبة أبيه فى أسفاره العديدة إلى العاصمة الفرنسية . لم يتذوق كلود هنرى دى سان سيمون فى مسهل حياته أياما من الطفولة السعيدة فقد كان عنيدا ميالا للتحرر من قيود الدين والانطلاق من سلطة الأسرة ، وساعد على ذلك أنه تلقى علومه الأولى على أيدى نكرات من الرجال ، لم يكن لهم فضل فى تثبيت مثله العليا أو تحديد منهجه فى مسهل حياته . وفى العام الثالث عشر من عمره ، اضطرت والده - إزاء عصيانه المستمر - إلى إيداعه فى دير « سان لازار » St. Lazare بباريس كوسيلة لتأديبه . وظل بهذا الدير فترة من الوقت إلى أن تعهدت إحدى عماته بتحمل مسئوليته .

ثم تبدأ صفحة جديدة فى حياة سان سيمون عندما ينضوى تحت لواء الجندية . فى فرقته العسكرية بتورين يبدأ أول اتصال فكرى له « بدالمبير d'Alembert » ، وقد كانت لتعاليم دالمبير آثار عميقة فى تفكير سان سيمون وفى منهجه فى مستقبل حياته . وفى عام ١٧٧٩ انضم صف الضابط كلود هنرى دى سان سيمون إلى صفوف المتطوعين من أشرف الفرنسيين للمساهمة فى حرب

(١) راجع چان دترى : سان سيمون ص ١٠

التحرير الأمريكية ، وظل يساهم في حرب التحرير حتى حصلت الولايات المتحدة على استقلالها عام ١٧٨٣ .

يقول سان سيمون - في مذكراته الخاصة - أن هذه السنوات الخمس قد علمته ما لم يتعلم من قبل . فقد كان طوال إقامته في أمريكا يقرأ ويشاهد ويتمعن ويستتج ، وكانت العلوم السياسية تشغله أكثر مما كانت الفنون الحربية تسترعى اهتمامه . فالحرب في ذاتها لم تكن تعنيه على الإطلاق ، وإنما الهدف الذي كانت ترمى إليه هذه الحرب هو الذي كان يملك عليه زمام قلبه ^(١) . وهو في ذلك يقول : « لم تكن الجندية صنعتي على الإطلاق فقد اتجهت إلى ناحية من النشاط بعيدة كل البعد عن واجبات الجندية . . لقد كانت دراسة سير التفكير الإنساني بقصد الوصول إلى أسمی درجات الحضارة هي الهدف الذي كرست له أغلب ساعات عملي وفراغي » ^(٢) .

أدرك سان سيمون أن العامل الجوهري الذي أشعل نيران الثورة هو رفض أهالي الولايات الأمريكية الخضوع للسيطرة التجارية التي تفرضها شركة الهند التجارية ، ولهذا اعتبر سان سيمون أن قيام الثورة الأمريكية ليس إلا بداية لعصر سياسي جديد ، وأن هذه الثورة يجب أن تحدث أثرها في تطور الحضارة . وقد غرست فيه حرب التحرير الأمريكية كراهية عنيفة للاستعمار ، ومعارضة مستمرة لقيام الجيوش النظامية المرتزقة . وكان يرى أن السلام الدائم أمر ميسور المثال إذا اتصلت الثقافات وتقاربت الميول وتناسقت الاتجاهات على أساس علمي سليم وخاصة عن طريق شق القنوات التي تربط القارات والمحيطات بعضها ببعض الآخر .

وفي نهاية حرب الاستقلال الأمريكية ، اتجه سان سيمون إلى المكسيك -

(١) L'Industrie ou Discours Politiques, Morales et Philosophiques in Oeuvres (١) de Saint- Simon et d'Enfantin, 2ème volume, T. XVIII, p. 148, 149.

(٢) نفس المرجع السابق . الجزء ١٨ ، ص : ١٤٨ .

وكانت تابعة في ذلك الوقت لإسبانيا - حيث عرض على حاكمها مشروعاً لإنشاء ممر يوصل المحيط بالبحر عن طريق قناة إنبارتيدو (1) ، ولكنه لم يصادف ما كان ينتظره من تشجيع فسافر إلى إسبانيا . وفي إسبانيا نما إلى علمه أن الحكومة الإسبانية بصدد المشروع في شق قناة توصل مدريد بالبحر ، وأن المشروع يلزمه التمويل والأيدى العاملة فأسرع بالاتصال بالكونت دى كابروروس ، وعرض بالاشتراك معه على الحكومة الإسبانية مشروعاً ينظم عملية التمويل وإعداد الأيدى العاملة . ولكن قيام الثورة الفرنسية حال دون تنفيذ هذا المشروع أيضاً ، فعاد سان سيمون إلى فرنسا وأقام في بلده « فلافى » .

بيد أن هذا الفشل لم يثن من عزمه ، ولم يحل دونه ومحاولة تحقيق فكرة الإنسانية العالمية عن طريق ربط القارات والمحيطات بعضها ببعض الآخر . ولكن أثر الصدمة بدأ في مفكراته الخاصة التي كتبها عام ١٨٠٩ وظلت مطوية فترة طويلة بعد وفاته ، ولم تنشر إلا على أيدى أتباعه في عام ١٨٦٨ .

يقول سان سيمون : « بالرغم من أن حياتى سلسلة من الصدمات ، فإننى لم أياس قط ، لأننى مهما هبطت فإن الموج يرفعنى مرة أخرى ، فلم يحدث أن أدى نى الفشل مره إلى السقوط فى الهاوية ، قد أهبط أحياناً ولكن قوتى الدافعة تحملى دائماً إلى أعلى مهما كانت العقبات (٢) » .

وفي فلافى انتخب الفلاحون الكونت كلود دى سان سيمون رئيساً لاتحادهم ، فأعلن سان سيمون على الملأ تنازله عن لقب كونت واعتزازه بأن يكون مواطناً فحسب (٣) . وفي عام ١٧٩٠ وجه المواطن سان سيمون نداء إلى الجمعية التأسيسية نيابة عن الناخبين ذكر فيه « أن جميع المواطنين سواء فى الوظائف والأعمال

(١) نجد هنا الجذور الأولى لفكرة سان سيمون فى الإنسانية العالمية التى تتلخص فى وصل القارات ببعضها عن طريق الممرات المائية .

(٢) Abrégé de l'histoire de la Vie de Saint-Simon, in Oeuvres de S.S. et d'Enfantin, T. XV, pp. 77-78.

(٣) راجع المجموعة الكاملة لمؤلفات سان سيمون وانفانتان ، الجزء الأول : ص ١٥ .

العامّة ، كل بحسب قدراته دون ما تميز سوى فضائله وخبراته^(١) .
ويذكر المؤرخ « ألبير ماثيه » Albert Mathiez أن اتصالاتا تم في حوالى عام ١٧٩١ بين سان سيمون والزعيم الشيوعي « بابف » Babeuf ، حيث تحدث معه عن بعض عمليات بيع الأملاك الأهلية في الصفقة التي كان بابف منتخبا لإدارة عملية بيعها^(٢) . ويشاع أن سان سيمون تعددت أسفاره بعد هذه المقابلة وأصبح في عداد الأثرياء ، وكانت مهنته كوكيل لبعض البنوك تمكنه من الاتصال بكثير من الأشخاص من شيع مختلفة واتجاهات متباينة .
وفي شهر سبتمبر من عام ١٧٩٠ تقدم مجهول إلى لجنة فحص الطعون الدستورية ببلاغ ضد سان سيمون يتهمه فيه بالاتصال بالمهاجرين ، وبعض أفراد الطبقة الأرستقراطية الذين لا يزالون في فرنسا . ورغم أن التحقيقات لم تكشف عن أساس واضح لهذه الاتهامات إلا أن تصرفات سان سيمون ظلت مثارا للشك باعثة على الريبة .

وتصادف وجود سان سيمون في كايمبرى عندما فر الملك إلى قارن ، ولكي يحول سان سيمون بين أعداء الثورة وبين القيام بأى عمل هدام ، أسرع بتولى قيادة الحرس الوطنى استعدادا للمناداة بالجمهورية ، ولكن أمنية سان سيمون في قيام الجمهورية لم يكتب لها التحقيق في ذلك الوقت (يونية ١٧٩١)^(٣) .
وفي يونية عام ١٧٩٣ كان سان سيمون موضعا لتحريرات لجنة الخلاص الوطنى ، ولكن الوطنيين من أهالى برون دافعوا عنه دفاعا مجيدا . ومنذ أكتوبر عام ١٧٩٥ استقر سان سيمون نهائياً في باريس وأنشأ مؤسسة للنقل بالسيارات أطلق عليها اسم « مؤسسة سان سيمون » L'Établissement Saint-Simon وظل يعمل في هدوء حتى قام الانقلاب ضد الملكية في ٤ سبتمبر عام ١٧٩٧ ،

(١) نفس المرجع السابق : ص ١٥ ، ١٦ .

(٢) راجع الأرشيف الأهل بباريس ملف رقم (A.F. 1-232) .

(٣) نفس المرجع السابق ص ١٨ .

وأخذت الصحف الجمهورية تطالب باعتقال سان سيمون متهمه إياه بأنه يدير مؤسسة للنقل كستار يخفى منظمة ملكية خطيرة .

ولترك سان سيمون يدفع عن نفسه هذا الاتهام إذ يقول : « إن آرائى وتصرفاتى السياسية منذ عام ١٧٨٩ لم تجعل فى الإمكان اعتقالى لأى سبب ، أو لأى دافع مهما كان حقيقياً أو ظاهرياً . ولهذا فإننى لا أخشى سوى أعداء الثورة الذين يعرفون أنه لا يوجد من هو أكثر تمسكا بمبادئها من شخصى الضعيف^(١) » . واضطر سان سيمون إلى تصفية أعماله التجارية والعودة إلى دراساته من جديد . فى يوم من أيام عام ١٧٩٨ استدعى بعض أصدقائه ومعارفه حيث قرأ عليهم مقالا كتبه عن الأخلاق ، وقد صارحه بعض أصدقائه - ومن بينهم ردرن Redern - بأن هذا المقال يحتاج إلى التعديل فى كثير من المواطن . وكان هذا يرجع - بلا شك - إلى نقص كبير فى ثقافة سان سيمون الأولى . ومن هذا الوقت أخذ سان سيمون يعكف على استكمال ما فاتته من ألوان الثقافة . بدأ سان سيمون يقتنع بأن رسالته الاجتماعية تقتضى منه توفرا على الدراسة العلمية العميقة ، هذه الدراسة التى لا بد أن تتضمن أولا علوم الطبيعة الرياضية . وكانت مدرسة الهندسة العسكرية بباريس L'école Polytechnique هى المكان الذى تتوافر فيه هذه الدراسة ، مما دفع سان سيمون إلى السكنى فى مواجهتها ، وتابع المحاضرات متابعة جدية ثلاثة أعوام متتالية .

كان سان سيمون يرى أنه من الضرورى لإعداد جيل من العلماء ، الذين سوف يتولون مقاليد الأمور فى المجتمع . فعمل على تشجيع الشباب المثقف أمثال بواسون Poisson وجال Gall وكابانى Cabanis وبيشا Bichat وبلنفييل Blainville وفتح داره لهم ، فكانت مجمعا لرواد الحركة الفكرية فى القرن التاسع عشر .

(١) تكذيب نشره سان سيمون فى جريدة باريس Le Journal de Paris بتاريخ ١٩ سبتمبر

ظل سان سيمون مبتعدا عن الانغماس في الشؤون السياسية العامة ، وكانت ثقته عظيمة في مقدرة بونايرت على إنهاء ما خلفته الثورة من فوضى في البلاد . كان يثق في بونايرت ثقة مطلقة ، ولكن استغلاله لمعنى الحرية لم يكن يتفق مع المبادئ الجمهورية التي تشبع بها سان سيمون في حرب الاستقلال الأمريكية ، فانقلب سان سيمون على بونايرت وصار من أعنف خصومه ومن أشد المهاجمين لسياسته .

ويتبين اتجاه سان سيمون في رسالة بعث بها إلى مدام دي ستال Mme de Staël يؤيدها في موقفها العدائي من بونايرت ويصارعها برأيه في الدكتاتور الغاشم فيقول : « إن مجرد الاعتقاد بأن سيدة مثلك تعيش تعيسة بسبب آرائها يثيرني ويؤلمني جدا . . . هل استطاع هذا المدعو نابليون ، الذي حكم عليك بالنفي ، والذي يرى أن النساء لا يصلحن إلا للأمور التافهة ، أن يقوم بإنتاج مثل ما قدمت من آراء لها أثرها في تقدم الفكر الإنساني ؟ » لا . . . إنني أستشعر الثورة على هذا الوضع (١) .

وفي شهر مايو عام ١٨٠٤ قام البوليس بتفتيش مسكنه للبحث عن مخطوط بعنوان : « محاولة لخطة جديدة في التنظيم الاجتماعي يضعها محب للإنسانية » . Esquisse d'un nouveau plan d'organisation sociale par un philanthrope ولكن هذا المخطوط لم يعثر عليه لأن أحد أصدقاء سان سيمون كان قد أخذه لطبعه خارج فرنسا .

وقد أفضت الرقابة المستمرة على تصرفات سان سيمون وحركاته إلى اتجاهه إلى البحث العلمي البحت ، متبعا منهمج رجال الموسوعة العلمية Les Encyclopédistes وأصبحت آراء سان سيمون العلمية تسير في الاتجاه العلمي للفريق الذي يتناصر جمع المعارف الفلسفية .

• • •

ساعدت حالة الاستقرار ومعاهدة السلام التي عقدت بين فرنسا وإنجلترا في ٢٥ مارس سنة ١٨٠٢ على إتاحة الفرصة لسان سيمون في الخروج إلى المجتمعات الأوروبية ، فسافر إلى ألمانيا ليلمس عن قرب إلى أى مدى وصل الألمان في ثقافتهم . وفي مذكراته الخاصة يسجل سان سيمون عن زيارته لألمانيا : « إن العلوم لا تزال في طفولتها في هذه البلاد ، ما دام أنها تقوم عندهم على مبادئ صوفية^(١) » . ولم يفت سان سيمون أن يسافر كذلك إلى بلاد الإنجليز حيث تأكد أن « إنتاجهم ونشاطهم الفكرى لا يقوم على أى مبدأ أساسى جديد^(٢) » . ولهذا فإن الطريق مفتوح أمام من يريد أن يقيم دعائم المجتمع الجديد .

هذه الحقائق دفعت سان سيمون إلى تسجيل أفكاره « لسعادة بنى الإنسان » تحت عنوان « رسائل من أحد سكان جنيف إلى معاصريه » في عام ١٨٠٣ *Lettres d'un habitant de Genève à ses contemporains* . فقد اكتشف الفيلسوف أن الوسيلة الوحيدة إلى تفادى المآسى التي تهدد المجتمع هي زوال النظام الاجتماعى القديم الذى أوجد المجتمع في حالة من الفوضى وعدم الاستقرار . وفي هذه الرسائل يقول سان سيمون إن إدارة الشؤون الإنسانية يجب أن تسند إلى هيئة من العلماء والفنانين المنتخبين ، الذين يؤجرون عن طريق الاكتتاب العالمى . هذه الهيئة الحرة البعيدة عن كل تدخل ، يطلق عليها اسم « مجلس نيوتن » *Le Conseil de Newton* فإن الله « قد أوجد نيوتن بجانبه وأسند إليه إدارة و تنظيم شؤون البرية^(٣) » وفى بداية عام ١٨٠٥ بدأت أحوال سان سيمون المالية تسوء وأخذ يعدل عن الأرستقراطية والترف إلى حياة يغلب عليها البساطة والاقتصاد ، فيعمل مصححا في إحدى المطابع تارة ، وعاملا في إحدى المكتبات تارة أخرى . كما بدأت آراء سان سيمون وأهدافه تتجه اتجاها جديدا ، فقد وجد أن نابليون قد استبد بكل

(١) جان دتري : سان سيمون ص ٢٥ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٧ .

(٣) قام سان سيمون بنشر هذه الرسائل في جنيف للمرة الأولى ثم أعاد طبعها مرة أخرى

من يهتم بالعلوم الاجتماعية وبأنصار فلسفة القرن الثامن عشر ، كما أن الاتجاه نحو جمع المعارف الفلسفية جمعاً علمياً قد اختفى تماماً عندما أصدر نابليون الأمر الإمبراطوري ، في ٢١ سبتمبر سنة ١٨٠٧ ، بإلغاء النشرة الدورية التي تتبنى هذا الاتجاه الفكري في فرنسا .

ولم يكن هناك بد من أن يتحول سان سيمون في دراساته وكتاباته وجهة أخرى حتى يتجنب ملاحظته وإيدائه ، فوجد بغيته في البحث العلمي لحق ؛ البحث في الفلك والرياضة والطبيعة والكيمياء . ومع كل فقد كانت العلوم الاجتماعية تستهويه ، فكان يكتب بين الحين والحين نظرات عامة عن الدين والتاريخ ، كما كان يتناول بعض الأحداث السياسية بالتعليق ، دون أن يفوته — بالرغم منه — أن يؤكد العبقرية التي لا حد لها لنابليون الإمبراطور .

واستطاع سان سيمون بمعونة مالية من أحد أصدقائه أن يطبع — في الفترة ما بين عام ١٨٠٧ وعام ١٨١٠ — ثلاثة مؤلفات علمية : أولها بعنوان « مقدمة للأعمال العلمية في القرن التاسع عشر » (١٨٠٧ — ١٨٠٨) . Introduction aux travaux scientifiques du XIXe siècle. والثاني بعنوان « خطابات إلى مكتب المساحة » (عام ١٨٠٨) . Lettres au Bureau des Longitudes. ثم نشر ثلاث مقالات تدعو إلى ضرورة قيام « موسوعة علمية جديدة » (عام ١٨١٠) .

. Projet d'encyclopédie de C.H. Saint-Simon

ولم يسلم سان سيمون من النقد والتجريح ، رغم أن هذين المؤلفين كانا محاولة للوقوف على سير التفكير الإنساني وتفسيراً لهذا التفكير . وفي المؤلف الأخير — على وجه الخصوص — يؤكد سان سيمون أن العلوم تمر في حالات ثلاث أولها حالة تخمينية لاهوتية والثانية حالة وسط بين التخمين والواقعية والحالة الثالثة هي الحالة الواقعية أو الوضعية . وقد كتبت « صحيفة الإمبراطورية » Le Journal de l'Empire وهي الصحيفة الرسمية الوحيدة في ذلك الوقت — تقول في عددها الصادر يوم ٢١ أبريل سنة ١٨١٠ أن « سان سيمون لا يتخذ مذهباً واحداً في تفكيره ،

ولكنه يعلن مذهبا للجمهور ويبطن مذهبا آخر يسر به إلى أصدقائه وخاصة ،
فقام البوليس على الفور بمصادرة كتاباته ومخطوطاته عن الموسوعة الجديدة .
وظلت الأفكار التي كان يتهم سان سيمون بالإفشاء بها إلى أصدقائه
وخاصته محبوسة عن الرأي العام إلى أن أتيح له إعلانها في عام ١٨١٣ في بحثه عن « علم
الإنسان » *Mémoire sur la Science de l'homme* وفي بحثه عن « الجاذبية العامة »
Travail sur la gravitation universelle حيث قال : « إن الإمبراطور ليس
مستعدا لإقرار السلام ، فهو لا يشجع سوى علم واحد ، العلم الذي يسبب الموت
والدمار (١) » .

وفي أكتوبر عام ١٨١٤ نشر سان سيمون بالاشتراك مع سكرتيره « أوجستان
تيري » *Augustin Thierry* الجزء الأول من مؤلفه المعروف « في إعادة تنظيم المجتمع
الأوربي » *De la Réorganisation de la Société Européenne* ويعتبر هذا
المؤلف من أهم كتابات سان سيمون لأنه يحاول أن يشخص الداء الذي يعانيه المجتمع ،
ويخلص من تشخيصه إلى أن تقدم الفكر الإنساني والثورات التي تعترض سير
معارفنا تضيئ على كل قرن صفاته المميزة . ثم يتناول سان سيمون موضوعات
سياسية مختلفة بالتعليق والتحليل ، ففي عدد يناير عام ١٨١٥ من مجلة الرقيب
Le Censeur يكتب مقالا يبحث فيه الطبقة البورجوازية أن تؤلف حزبا للمعارضة .

° ° °

ظل سان سيمون منطلقا في أفكاره التحررية إلى أن تناهى إلى الأسماع نبا فرار
نابليون من جزيرة إلبا *Elba* في طريقه إلى باريس . فاضطر سان سيمون إلى
مهادثته طوال الأيام المائة التي قضها في الحكم بعد عودته من المنفى .
وعندما عاد لويس الثامن عشر إلى الحكم بدأ سان سيمون مع فريق من
المفكرين الأحرار في إعداد خطة للمستقبل . فانضم إلى جماعة تعرف « بجمعية
التعليم الابتدائي » ، هدفها تنظيم نوع من الدراسة الأولية في فرنسا تكون مستقلة

عن إشراف الكنيسة ، وتسير على نمط الدراسة الأولية في إنجلترا . وقد لقي هذا المشروع تأييدا كبيرا من بين القادرين من أبناء الطبقة البورجوازية فترعوا بالأموال اللازمة لأجور المعلمين في فترة الإعداد فقط ، لأن المشروع كان يهدف إلى قيام المتعلمين بالتطوع لتعليم فريق آخر بعد انتهاء فترة تعليمهم وهكذا . هذا النوع من التعليم يعرف بالتعليم المتبادل L'Enseignement Mutuel ، وكان سان سيمون يهدف من وراء ذلك المشروع إلى تزويد المصانع والمؤسسات العمالية بالعمال الأكفاء المستنيرين .

وفي أواخر عام ١٨١٦ قام سان سيمون بنشر بعض فصول تحمل عنوانا واحدا هو « الصناعة » L'Industrie ، وظل يتابع كتابته في هذا الموضوع من ديسمبر عام ١٨١٦ إلى مايو عام ١٨١٨ . وكانت « الصناعة » في الحقيقة مجلة دورية ، ولكن سان سيمون لم يشأ أن يجعل لها تلك الصبغة حتى يفلت من القيود التي كانت مفروضة على المجلات السياسية في ذلك الوقت ، فكان يعتمد إصدارها في مواعيد غير منتظمة .

وتعد مجلة الصناعة حلقة اتصال بين الصناعة العلمية والفنون الأدبية من جانب وبين الصناعة التجارية والفنون اليدوية من جانب آخر . وتمتاز هذه الموضوعات بالطرافة لأنه - حتى ذلك الوقت - لم يكن هناك من سبق سان سيمون في ربط العمل بالتبطل ، والتعرض لهما بالدراسة العلمية التحليلية . ولكن ظهور « الصناعة » لم يستمر فترة طويلة فقد حل محلها في أوائل عام ١٨١٩ مجلة « الرجل السياسي » Le Politique التي قام سان سيمون بإصدارها ، بصفة دورية ، بالاشتراك مع سكرتيره أوجست كونت . ولم يكن حظ هذه الأخيرة أفضل من سابقتها ، فقد توقفت عن الصدور في عددها الثاني عشر .

وفي نوفمبر عام ١٨١٩ نشر سان سيمون سلسلة من المقالات التي كتبها بنفسه دون الاستعانة بأحد ، والتي ضمها فيما بعد مؤلفا سماه « المنظم » L'Organisateur وكان الهدف الواضح لهذه المقالات هو عرض الوسائل والطرق التي تؤدي إلى النظام

الصناعى ، فكانت أشبه بدستور للدولة يتضمن لجنة للاختراعات أعضاؤها من المهندسين والأدباء والفنيين ورجال العلم والرياضة ، ولجنة للتنفيذ أعضاؤها من رجال الصناعة الأثرياء . وبانتهاء هذه المقالات تنهى المرحلة الأولى من مراحل صراع سان سيمون فى سبيل تحقيق الصناعة المثالية ، انتهت بطبيعة الحال نهاية غير موفقة ، لأن الرأى العام لم يكن مهيباً لتقبل هذه الأفكار ، فضلاً عن أنها كانت عسيرة التنفيذ . ولكن المجهود الذى بذله سان سيمون أفضى — بلاشك — إلى تقدم ملحوظ فى أفكاره وآرائه عن الطبقات الاجتماعية والصراع بين هذه الطبقات .

• • •

وفى بداية عام ١٨٢٠ تظهر مرحلة جديدة من مراحل نشاط سان سيمون ، وتستمر حتى وفاته فى عام ١٨٢٥ ، مرحلة تنهى بنجاحه فى تجميع الطبقة البورجوازية بأكملها حول رجال الصناعة من البورجوازيين ، وتجميع الشعب بأكمله حول الطبقة البورجوازية نفسها . هذا التجمع هو الذى ساعد على قيام ثورة عام ١٨٣٠ فى فرنسا . وقد تركزت كتابات سان سيمون فى هذه المرحلة حول الوسائل التى تجعل من النظام الملكى نظاماً شعبياً قوياً . وتعتبر مؤلفاته فى هذه المرحلة على جانب كبير من الأهمية فى موضوع الطبقات الاجتماعية ، والتنظيم الاجتماعى ، وإقامة مجتمع يستمد مبادئه الدينية من ديانة جديدة تقوم على فضائل أخلاقية دنيوية بعيدة عن كل مظهر سماوى أو روحانى . فقد كتب فى عام ١٨٢١ موضوعاً بعنوان : « فى النظام الصناعى » Du Système Industriel وكتب فى عام ١٨٢٣ ، « تعاليم رجال الصناعة » Catéchisme des Industriels واختتم حياته الحافلة بكتابين أحدهما « آراء أدبية وفلسفية وصناعية ، Opinions littéraires philosophiques et industrielles والثانى بعنوان « المسيحية الجديدة » Nouveau Christianisme وفى جميع هذه المؤلفات نجد أن هناك فكرة سائدة لدى سان سيمون وهى ضرورة قيام نوع من الحكم الديكتاتورى الذى يكفل القضاء على النظام

الإقطاعى الدينى . وقد رسم خطة واضحة لتنفيذ ذلك تتلخص فى ستة أوامر :
 الأمر الأول والثانى يقضيان بتكليف المعهد العلمى L'Institut بإعداد
 تعاليم قومية لتعليم جميع أبناء الأمة ، فى حدود عشرين مليوناً من الفرنكات
 سنوياً . والأمر الثالث يقضى بإنشاء مجلس استشارى صناعى لإعداد ميزانية عام
 ١٨٢٢ . والأمر الرابع يلغى ألقاب النبلاء . والأمر الخامس يخفض الجيش المرتزق
 بإلغاء الحرس الملكى . أما الأمر السادس فيدعو مجلساً نيائياً جديداً للانعقاد
 طبقاً للأمر الملكى الصادر فى ٥ فبراير سنة ١٨١٧ .

* * *

ولا يصح أن تطوى هذه الفترة من حياة سان سيمون دون أن نلقى الضوء على
 مرحلة هامة منها ، وهى الفترة التى بدأ فيها الفيلسوف فى استخدام الموسيقى كوسيلة
 من وسائل التثقيف الخلقى والصناعى للطبقة العاملة . فى عام ١٨٢١ بعث بندا
 إلى « ترنو » Ternaux وهو من رجال الصناعة البارزين فى فرنسا فى ذلك الوقت ،
 يدعو فيه إلى تنظيم فرقة أناشيد تقوم بإنشاد « لحن الصناع » من إعداد « روجيه
 دى ليل » Rouget de Lisle . ولا شك أن هذه الفكرة التى ظهرت عند سان سيمون
 مستوحاة من « روبرت أوين » Robert Owen ، فقد تفاعلت فكرة الموسيقى فى ذهن
 سان سيمون بعد أن سمع محاضرات « ألكسندر دى لا بورده » Alexandre de la Borde
 فى تفسير ونقد آراء أوين عام ١٨١٦ فى جمعية التعليم الابتدائى بباريس .
 ولكن يبدو أن سان سيمون لم يوفق فى دعوته لرجال الصناعة فكتب إلى ترنو
 قائلاً : « بعد أن أمعنت التفكير فى الأمر ، أدركت أنك كنت على حق عندما
 نبهتني إلى أنه لا بد من مرور وقت طويل قبل أن تصبح أفكارى صالحة للتنفيذ^(١) .
 ويختتم سان سيمون رسالته إلى ترنو برجاء حار أن يعاونه فى إيجاد عمل لصديقه
 « جولى جوليان » Julie Juliand التى عاشها عدة سنوات ، والتى لم يستطع أن
 يتحمل الإنفاق عليها فى ظروفه الحالية . وفى لحظة من لحظات اليأس يطلق سان

سيمون على رأسه طليقة من مسدسه بغية الانتحار ، ولكن الموت يخذله ويفقد عينه اليمنى فقط .
 ما إن شنى سان سيمون فى شهر مايو عام ١٨٢٣ ، حتى تجمعته الظروف
 بشاب إسرائيلى من رجال المال والصناعة هو « أوليند رود ريج » Olinde Rodrigue
 الذى أبدى إعجابه بسان سيمون وبأفكاره وأخذ على عاتقه مهمة نشر مؤلفاته
 وكتاباتة . وقد ظهرت أربعة من مؤلفات سان سيمون عن « تعاليم رجال الصناعة »
 إلى الوجود بفضل معاونة رود ريج . ويجدر بنا أن نشير إلى أن علاقة سان سيمون
 بأوليند رود ريج كانت وراء الدوافع التى حفزت سكرتيره أوجست كونت إلى التخلي عنه .
 يقول أوجست كونت فى رسالة له إلى أحد أصدقائه يشرح فيها أسباب
 انفصاله عن سان سيمون : « لم يكن فقط لأن سان سيمون قد حاول أن يقودنى
 لتحقيق مآربه الخاصة ، ولكن الشئ الأكثر خطورة هو أننى تأكدت تأكداً لا مجال
 للشك فيه أنه صدم صدمة عنيفة عندما رأى أن الجمهور ينظر إلى بنفس الاهتمام
 الذى ينظر به إليه ، وأن الممول الذى يرعاه قد بدأ ينظر إلى بعين العطف ،
 فأراد أن يجعل منى أداة لا حول لها ولا قوة فى يديه (١) » .

وفى عام ١٨٢٥ نشر سان سيمون بمعاونة بعض أصدقائه وتلاميذه كتابيه
 الأخيرين اللذين أشرنا إليهما وهما « آراء أدبية وفلسفية وصناعية » . وفى هذا المؤلف
 تظهر فكرة سان سيمون فى الفصل بين العمل العقلى والعمل اليدوى ، أو بمعنى
 آخر بين نور العلم الذى يتصف به العلماء ، ومجرد المعرفة البسيطة التى يتزود بها العمال .
 أما الكتاب الثانى وهو « المسيحية الجديدة » ففيه يقول بأن توحيد المعرفة
 سوف يتحقق عندما يقوم العلماء باتباع ما تدعو إليه ديانتة الجديدة من إخاء
 حقيقى بين طبقة العلماء وبين الطبقة العاملة ، وعن طريق قيام جمعية تسعى إلى
 تحسين حال أكثر طبقات المجتمع عدداً وأشدّها حرماناً . ولم يمض شهر على
 ظهور « المسيحية الجديدة » حتى وافق المنية الفيلسوف الثائر فى ١٩ مايو
 سنة ١٨٢٥ ودفن فى مقابر « بير لاشيز » Père-Lachaise فى باريس بحضور جمع
 كبير من رواده وتلاميذه وعارفيه .